حَيَاةُ النَّبِيِّ ﷺ

عَامُ الحُزْنِ

كتبها
سلامة محمد سلامة

رسوم
عبد المرضى عبيد

جميع الحقوق محفوظة لشركة سفير

٢٠٠٣/رقم الإيداع ٢٠٠٦٧

الترقيم الدولي I.S.B.N.977-361-197-3

جرافيك وفصل ألوان : عاصم سيد أحمد

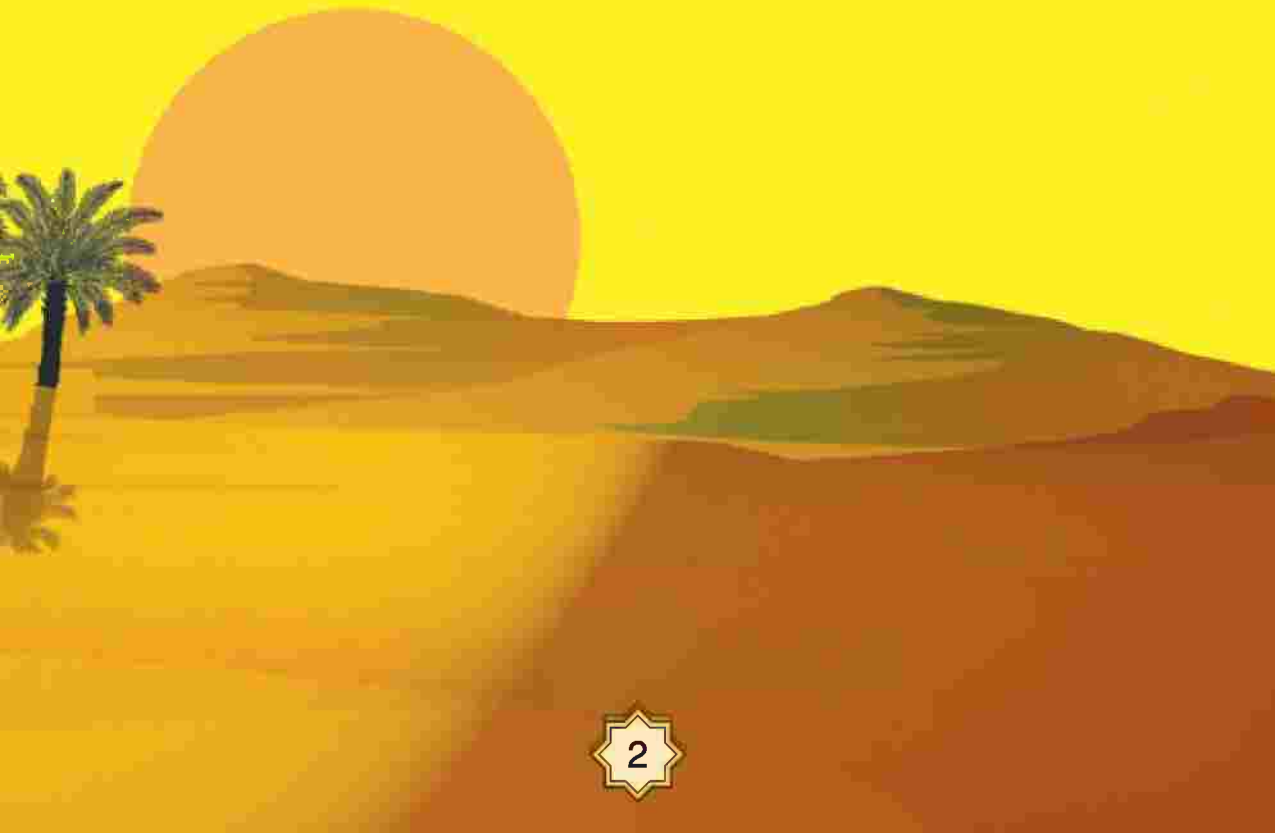

عَامُ الحُزْنِ

تَوَالَتِ المِحَنُ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ بَعْدَ انْتِهَاءِ مُقَاطَعَةِ قُرَيْشٍ لِبَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَقَدْ مَرِضَ عَمُّه «أَبُو طَالِبٍ» مَرَضًا شَدِيدًا، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ مِنْ عُمْرِهِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَمَنَّى أَنْ يُسْلِمَ عَمُّه قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ، لَكِنَّ اللهَ لَمْ يَشَأْ هِدَايَتَهُ فَمَاتَ عَلَى دِينِ آبَائِه، فَحَزِنَ النَّبِيُّ لِمَوْتِهِ حُزْنًا شَدِيدًا، إِذْ إِنَّهُ فَقَدَ عَزِيزًا غَالِيًا كَانَ يَقِفُ إِلَى جِوَارِهِ وَيَشُدُّ مِنْ أَزْرِهِ، وَيُدَافِعُ عَنْهُ بِكُلِّ مَا يَسْتَطِيعُ.

وَبَعْدَ وَفَاةِ «أَبِى طَالِبٍ» بِقَلِيلٍ تُوُفِّيتْ أُمُّ المُؤْمِنِينَ السَّيدَةُ «خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيلِدٍ» أَوَّلُ المُؤْمِنِينَ بِدَعْوَةِ النَّبِىِّ ﷺ ، فَأَصَابَ النَّبِىَّ بِفِرَاقِهَا هَمٌّ عَظِيمٌ وَحُزْنٌ عَمِيقٌ، فَقَدْ كَانَتْ- رَضِىَ اللهُ عَنْهَا- نِعْمَ الزَّوْجَةُ المُخْلِصَةُ الوَفِيَّةُ الَّتِى أَحَاطَتْ زَوْجَهَا بِصِدْقِ عَاطِفَتِهَا، وَحُسْنِ رِعَايَتِهَا، مِمَّا هَوَّنَ عَلَيْهِ كَثِيرًا مِنَ المَصَائِبِ وَالمِحَنِ، وَقَدْ سَمَّى النَّبِىُّ ﷺ هَذَا العَامَ بِعَامِ الحُزْنِ.

الذَّهَابُ إِلَى الطَّائِف

اشْتَدَّ إيذَاءُ كُفَّارِ قُرَيش للنَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ وَفَاةِ عَمِّه «أَبِي طَالِب»، فَتَوَجَّه النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الطَّائِف، وَمَعَهُ مَوْلاَهُ «زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ» لَعَلَّهُ يَجِدُ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ مِنْ أَهْلِهَا وَيَنْصُرُهُ، لَكِنَّهم لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَتِه ﷺ ، بَلِ اسْتَهْزَءُوا بِهِ وآذَوْهُ أَشَدَّ الإيذَاءِ وَدَفَعُوا صِبْيَانَهم وَسُفَهَاءَهُم وَعَبِيدَهم، يَشْتُمُونَهُ وَيَضْرِبُونَهُ بِالحِجَارَةِ حَتَّى جُرِحَتْ قَدَمَاهُ الشَّرِيفَتَانِ، وَشُجَّ رَأْسُ «زَيْدٍ» وَهُوَ يُدَافِعُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ .

لَجَـأَ النَّبِـيُّ ﷺ إِلَـى بُسْتَـانٍ خَـارِجَ الطَّائِفِ لِيَحْتَمِـيَ بِهِ، وَبَعْدَ أن اسْـتَرَاحَ قَلِيلاً، أَخَذَ طَرِيقَهُ إِلَـى «مَكَّةَ» مَهْمُومًا حَزِينًا مُثْقَلاً بِالجِرَاحِ، فَأَرْسَلَ اللـهُ إِلَيْهِ «جِبْرِيـلَ» - عَلَيْهِ السَّـلامُ- وَمَعَهُ مَلَكُ الجِبَـالِ لِيَأْخُذَ مِنْـهُ الأَمْرَ بِأَنْ يُطْبِـقَ عَلَى «مَكَّةَ» جِبَالَهَا، لَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ فِي سَمَاحَةٍ وَعَفْوٍ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللـهُ مِنْ أَصْلابِهِم مَنْ يَعْبُدُ اللـهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».

وَلَمَّا اقْتَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ «مَكَّةَ» أَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ زُعَمَاءِ قُرَيْشٍ يَطْلُبُ دُخُولَ «مَكَّةَ» فِى حِمَايَتِهِم، لَكِنَّهُم رَفَضُوا طَلَبَهُ فِى غِلْظَةٍ وَشَمَاتَةٍ إِلاَّ «المُطْعِمَ بْنَ عَدِيٍّ» الذِى خَرَجَ بِأَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ وَمَعَهُم سِلاَحُهم لِيُعْلِنَ حِمَايَتَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ «مَكَّةَ» فِى حِمَايَتِهِ وَطَافَ بِالبَيْتِ الحَرَامِ ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى بَيْتِهِ دُونَ أَنْ يَنَالَهُ أَحَدٌ بِسُوءٍ.

الإسْرَاءُ والمِعْرَاجُ

أَرَادَ اللـهُ - سُبْحَانَـهُ - أَنْ يُرَوِّحَ عَنْ نَبِيِّه ﷺ وَيُذْهِبَ عَنْ قَلْبِهِ الهَـمَّ وَالحَزَنَ بَعْدَمَا لاَقَاهُ مِنْ سُفَهَاءِ الطَّائف وَغَيْرِهِم مِنَ القَبَائِلِ الَّتِـى رَفَضَـتْ دَعْوَتَهُ، فَأَكْرَمَهُ اللهُ - تَعَالَـى - وَأَسْرَى بِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِـدِ الحَـرَامِ إِلَـى المَسْجِدِ الأَقْصَـى ، ثُمَّ عُرِجَ بِـهِ فِى صُحْبَةِ «جبْرِيلَ» - عَلَيْهِ السَّلامُ - إِلَى السَّمَاوَاتِ العُلاَ.

رَأَى النَّبِـىُّ ﷺ فِـى هَـذِهِ الرِّحْلَةِ العَظِيمَةِ كَثِيرًا مِنْ آيَاتِ اللهِ الكُبْرَى، كَدُخُولِهِ الجَنَّةَ، واطِّلاَعِهِ عَلَى النَّارِ، وَكَلامِهِ مَعَ المَوْلَـى عَزَّ وَجَـلَّ، وَمُقَابَلَتِهِ للأَنبِيَاءِ، ثُمَّ فُرِضَـتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَفِى خِتَـامِ هَذِهِ الرِّحْلَةِ المُبَارَكَـةِ عَادَ النَّبِىُّ إِلَى «مَكَّةَ» فِى اللَّيْلَةِ نَفْسِهَا، فَلَمَّـا أَصْبَـحَ أَخْبَرَ قُرَيْشًا بِمَـا رَآه فَكَذَّبُوه وَسَخِـرُوا مِنْهُ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يَصِـفَ لَهُمُ المَسْجِـدَ الأَقْصَى إِنْ كَانَ صَادِقًـا، فَرَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ فَوَصَفَهُ النَّبِىُّ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ جُزْءًا جُزْءًا.

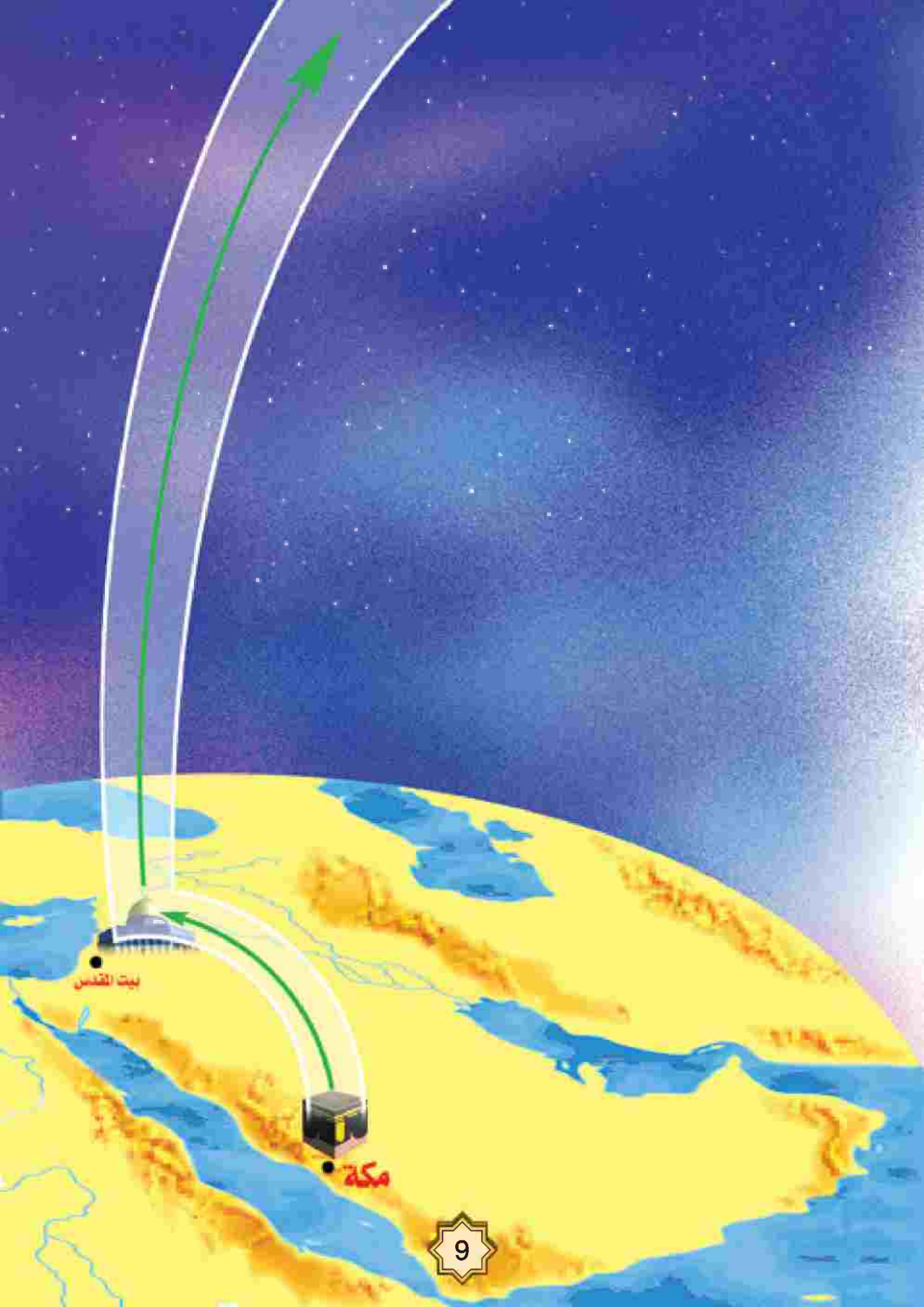
بيت المقدس
مكة

كَمَا أَخْبَرَهُم النَّبِىُّ ﷺ عَنْ قَافِلَةٍ تِجَارِيَّةٍ لَهُمْ كَانُوا يَنْتَظِرُونَهَا، وَحَـدَّد اليَـوْمَ الذِى سَتَصِلُ فِيـهِ، فَوَصَلَتْ فِى مَوْعِدِهَـا كَمَا أَخْبَرَ النَّبِـىُّ ﷺ ، لَكِنَّهُـم عَلَـى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ هَـذِهِ الآيَاتِ والمُعْجِزَاتِ، تَمَـادَوا فِى تَكْذِيبِهِم وَعِنَادِهِم، وَذَهَبُوا إِلَى «أَبِى بَكْرٍ» لِيُخْبِرُوه بِمَا يَقُولُه النَّبِىُّ ﷺ فَقَالَ لَهُمْ «أَبُو بَكْرٍ» :

«وَاللهِ لَئِنْ قَالَ ذَلِكَ فَقَدْ صَدَقَ» فَسُمِّى مُنْذُ ذَلِكَ اليَوْمِ بِالصِّدِّيقِ.

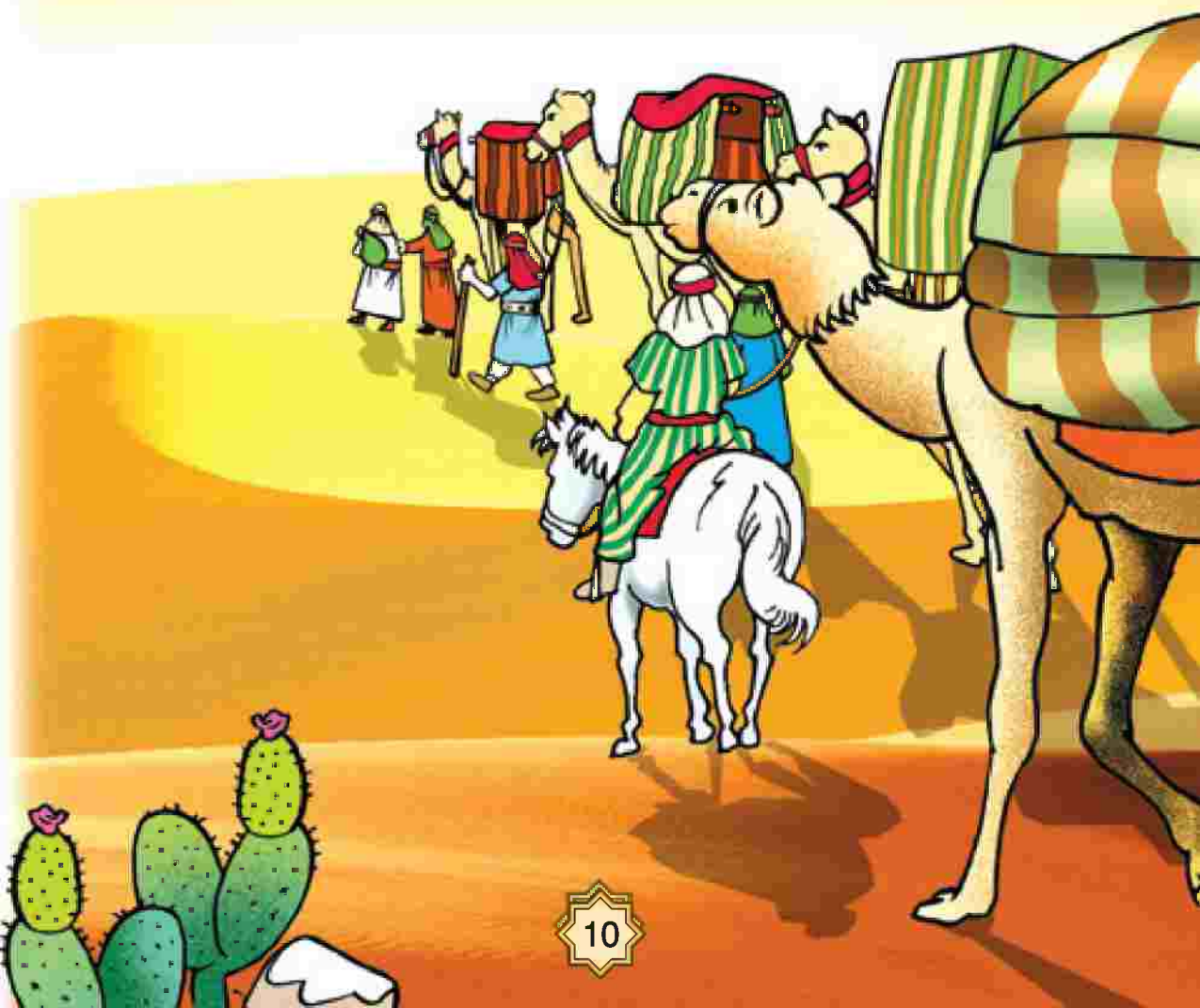

الإسْلاَمُ فِى يَثْرِبَ

خَـرَجَ النَّبِـىُّ ﷺ فِـى مَوْسِمِ الحَجِّ مِنَ السَّنَـةِ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ مِـنَ النُّبُوَّةِ يَدْعُـو القَبَائِلَ القَادِمَةَ إِلَـى مَكَّةَ إِلَـى الإِسْلاَمِ، فالْتَقَى فِـى مِنًى عِنْـدَ العَـقَبَةِ بِسِـتَّةِ رِجَالٍ مِنْ يَثْـرِبَ فَعَـرَضَ عَـلَيْهِم الرَّسُـولُ ﷺ الإِسْلاَمَ، وَتَلا عَلَيْهِم بَعضَ آيَاتِ القُرْآنِ فَتَيَقَّنوا أَنَّهُ النَّبِىُّ الذِى تَتَحَدَّثُ اليَهُودُ عَنْ قُرْبِ ظُهُورِهِ.

وَقَدْ شَرَحَ اللهُ صُدُورَ هَؤُلاءِ الرِّجَالِ للإيمَانِ، فَأَسْلَمُوا للهِ رَبِّ العَالمِينَ وآمَنُوا بِرَسُولِهِ الكَرِيمِ، وَرَجَعُوا إلى قَوْمِهِم يَدْعُونَهم للإسْلاَمِ، فَذَاعَ أَمْرُ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى لَمْ تَبْقَ دارٌ مِنْ دُورِ يَثْرِبَ إلاَّ وَتَتَحَدَّثُ عَنِ النَّبِيّ ﷺ وَرِسَالَتِهِ.

بَيْعَةُ العَقَبَةِ الأولَى

وَفِي مَوْسِمِ الحَجِّ مِنَ العَامِ التَّالِي قَدِمَ إلَى «مَكَّةَ» اثْنَا عَشَرَ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ والتَقَوا بالنَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ العَقَبَةِ الأولَى بِمِنًى وَبَايَعُوهُ عَلَى الطَّاعَةِ للهِ وَرَسُولِه وَنُصْرَةِ دِينِهِ، وَسُمِّيتْ تِلْكَ البَيْعَةُ بِبَيْعَةِ العَقَبَةِ الأُوْلَى.

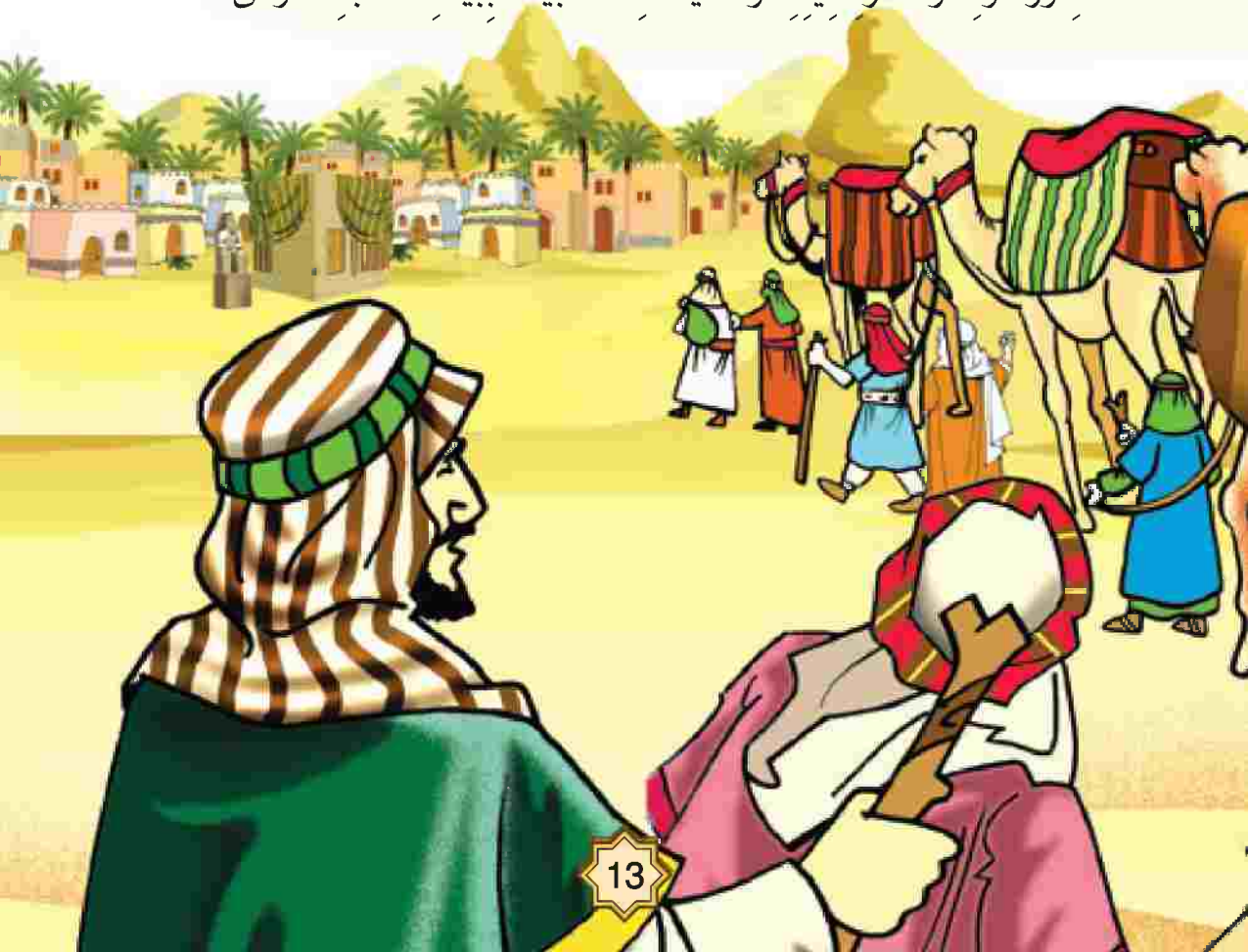

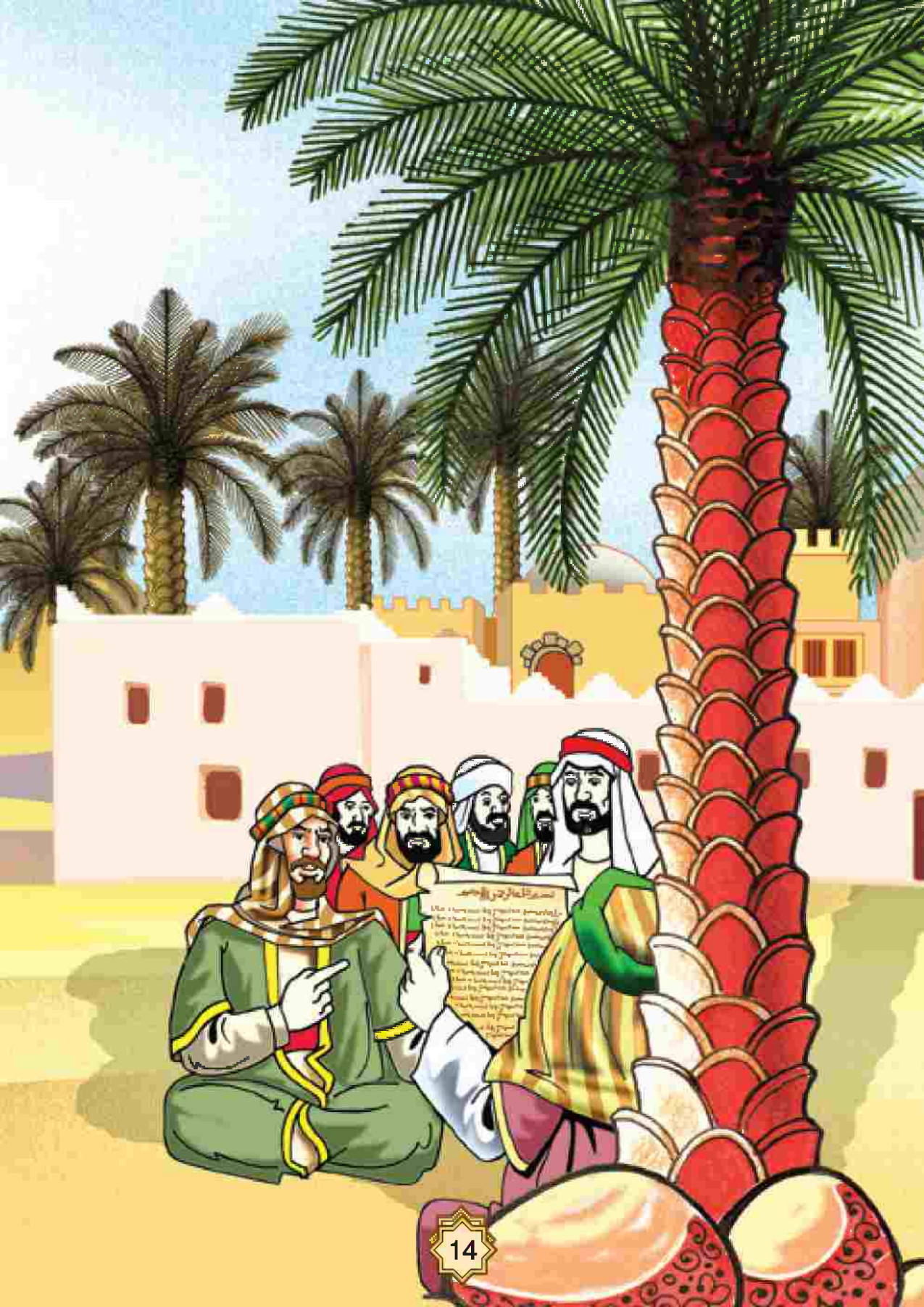

وَبَعْدَ انْتِهَاءِ مَوْسِمِ الحَجِّ أَرْسَلَ النَّبِيُّ «مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ» مَعَ أَهْلِ يَثْرِبَ لِيَتْلُوَ عَلَيْهِمُ القُرْآنَ وَيُعَلِّمَهُم أَحْكَامَ الدِّينِ، فَكَانَ «مُصْعَبٌ» - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - خَيْرَ سَفِيرٍ لِلإِسْلَامِ، فَفَتَحَ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ قُلُوبَ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ، حَتَّى إِنَّه لَمْ يَبْقَ بَيْتٌ فِيهَا إِلاَّ وَفِيهِ مُسْلِمٌ يُوَحِّدُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

بَيْعَةُ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ

وَفِي مَوْسِمِ الحَجِّ مِنَ السَّنَةِ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ مِنَ النُّبُوةِ قَدِمَ إِلَى «مَكَّةَ» ثَلاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلاً وَامْرَأَتَانِ مِنْ مُسْلِمِي المَدِينَةِ، وَاتَّفَقُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى أَنْ يُقَابِلُوهُ لَيْلاً عِنْدَ العَقَبَةِ بَعِيدًا عَنْ أَعْيُنِ المُشْرِكِينَ الذِينَ كَانُوا يَتَرَصَّدُونَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ.

ذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ إلَى وَفْدِ يَثْرِبَ فِى المَوْعِدِ المُحَدَّدِ، فَاسْتَقْبَلُوهُ أَعْظَمَ اسْتِقْبَالٍ، ثُمَّ بَايَعُوهُ جَمِيعًا عَلَى أَنْ يَحْمُوهُ وَيَنْصُرُوه وَيُدَافِعُوا عَنْهُ ، كَمَا يُدَافِعُون عَنْ أَمْوَالِهِم وَأَوْلَادِهم وَنِسَائِهم، كَمَا بَايَعُوهُ عَلَى أَنْ يُحَارِبُوا مَنْ حَارَبَهُ وَيُسَالِمُوا مَنْ سَالَمَهُ.